القبر أول منازل الآخرة

الحمد الله أولاً وأخراً، ونصلي ونسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد جاء في الحديث الصحيح أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)، قال: وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (ما رأيت قط إلا القبر أفظع منه)1.

نعم القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن كان هذا المنزل أول أمره طيب فما بعده أطيب؛ لأن بعده الجنة، وإن كان أوله نكال وعذاب فما بعده أشد عذاباً ونكالاً؛ لأن بعده النار.

ولذلك فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً، قال: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقول: فلان فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله -تبارك وتعالى-. فإذا كان الرجل السوء قال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر؛ فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله –تعالى-، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك، ويقال له:

على اليقين كنت وعليـــه مت وعليـــه تبعث إن شـــاء الله. ويجلس الرجـــل الســـوء في قـــبره فزعـــا مشـــعوفاً، فيقـــال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: ما هذا الرجـــل؟ فيقـــول: ســـمعت النـــاس يقولون قولا فقلته! فيفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجـــة إلى النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال: هذا مقعدك، على الشك كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله(2.

فالمطلوب من الإنسان أن يتذكر ذلـــك المكـــان الـــذي ســـيؤول إليـــه، قال مجاهد: "أول ما يكلم ابن آدم حفرته تقول: أنا بيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الوحشة، وبيت الظلمة، وبيت الغربة! هـــذا مـــا أعـــددت لك يا ابن آدم فما أعددت لي؟!"3.

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمة اللـــه عليه- لبعض جلســـائه: "يـــا فلان لقد أرقت البارحة تفكيرا بالقبر وســـاكنه، إنـــك لـــو رأيت الميت بعـــد ثلاث ليال في قبره لاستوحشت منه بعـــد طـــول الأنس بـــه، ولـــرأيت بيتاً تجول الهوام فيه، ويجري فيه الصديد، وتخرقه الديدان مع تغير الريح وتقطع الأكفان، وكان ذلك بعـــد حســـن الهيئـــة، وطيب الـــريح، ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خر مغشياً عليه"4.

فينبغي للإنســـان أن يكـــثر من ذكـــر هـــذا الموقـــف الـــرهيب، يقـــول سفيان الثـــوري: "من أكـــثر من ذكـــر القـــبر وجـــده روضـــة من ريـــاض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار"5.

وكان مغيث الأسود يقول: "زوروا القبور كل يوم بفكركم، وتوهمـــوا جوامع الخير كل يوم بعقولكم، وشاهدوا الموقف كل يوم بقلوبكم، وانظـــروا إلى المنصـــرف بـــالفريقين إلى الجنـــة والنـــار بهممكم، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها"6.

فالله الله في تـــذكر القـــبر وظلمتـــه، حـــتى تخشـــع القلـــوب، وتـــدمع العيـــون، ويزهـــد العبـــد في الـــدنيا، ويقبـــل على الآخـــرة، ويكـــثر من الطاعة، ويقصر عن المعصية، وصـــلى اللـــه على نبينـــا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم.

رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، قال الألباني: "حسن" كما في صحيح الجامع، رقم (1 (1684**.**

2 **رواه أحمد، وقال الألباني: "صحيح" كما في صحيح الجامع، رقم**(1968)

إحياء علوم الدين(4/486) 3

4 **العاقبة في ذكر الموت، صـ**(191) **لعبد الحق الإشبيلي.**

التذكرة، صـ(108) **للقرطبي** 5

التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، صـ(51). **الناشر : مكتبة دار البيان - دمشق** 6